الفصل الثانى

الموالى فى العصر العباسى الأول

مع سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية تنفس الموالى الصعداء وأحسوا بأهميتهم وكيانهم فى ظل العباسيين ونالوا بعض أمانيهم وتحققت بعض آمالهم التى طالما جدوا فى طلبها ولكن لم تتحقق لهم كل الآمال والتى يتقدمها القضاء على السيادة العربية وإقامة دولة فارسية .

ولما كان من الصعب العسير على الموالى أن يتحقق لهم أملهم المنشود فى إعادة المجد الفارسى فى ظل بنى أمية فقد سعوا بجدية فى إسقاط دولة بنى أمية وتنحيتها من طريقهم وراحوا يترقبون الوقت الذى يسمح لهم بالخروج عليهم(١) .

بعد أن طاقت نفوس الموالى إلى التخلص من حكمهم نظراً لما ارتكبوه من وسائل العنف فى قمع ثورات العلويين ، ولهذا مالوا إلى نصرة الهاشميين لأنهم أقرب إلى رسول الله(ﷺ)من الأمويين ، وبدأ هذا الميل بقوة بعد مقتل زيد بن علىّ وابنه يحيى ..فإن هؤلاء الموالى اعتقدوا أن اعتناقهم الإسلام لم يسو بينهم وبين العرب والدليل على ذلك أن المسلمين من غير العرب قد لحقوا بعد اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية ليكونوا موالى لتلك القبائل .

وفى وسط هذه الحقبة المملوءة بالخلافات والاضطرابات ظهر أبو مسلم الخراسانى ، إذ وجد الفرصة سانحة لإلقاء بذور الفوضى وشن الغارة على أعدائه فقام بالدعوة لآل البيت وهو يخفى من ورائها الآمال والمطامع فى إرجاع المجد الفارسى القديم والنيل من العرب تحت ذلك الستار الخادع البراق ستار الدعوة لآل البيت(٢) .

فما إن ظهرت بوارق هذه الدعوة حتى سارع الموالى إلى تأييدها والإنضواء تحت لوائها ، بل أنهم وجدوا فيها ضالتهم المنشودة وأمانيهم

---

(١) الطيب النجار ـ الموالي في العصر الأموي ص١١٧ .

(٢) إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام ٢/ ١٧ .

الضائعة . كما أسرع أهالى خراسان إلى تأييد هذه الدعوة ونصرتها ، فجاءوا إلى أبى مسلم من كل حدب ينسلون .

ويصور الدينورى[١] هذا التأييد بقوله : (وانجفل الناس على أبى مسلم من هراة[٢] وبوشنج[٣] ومرو الروذ[٤] والطالقان ومرو ونسا[٥] وابيور[٦] وطوس[٧] ونيسابور[٨] وسرخس[٩] وبلخ[١٠] والصغانيات[١١] والطخارستان[١٢] وختلان وكش[١٣] ونسف[١٤] ، فتوافدوا جميعاً مسودى الثياب وقد سودوا أيضاً أنصاف الخشاب التى كانت معهم وسموها كافركوبات وأقبلوا فرساناً وحمارة ورجالة يسوقون حميرهم ويزجرونها هر مروان يسمونها مروان ترغيماً لمروان بن محمد وكانوا زهاء مائة ألف رجل ، انطلق الموالى يؤيدون هذه الدعوة بكل ما أوتوا من قوة حتى إن نقباء الدعوة العباسية كانوا اثنى عشر رجلاً ، كان منهم خمسة من الموالى من

---

(١) الأخبار الطوال ص٥٢٣ .

(٢) هراه ـ مدينة مشهورة من مدن خراسان بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وبها جمع من العلماء وأهل الفضل والثراء ، وهراه أيضاً مدينة بفارس قرب اصطخر . (معجم البلدان ٥/ ٣٩٦) .

(٣) بوشنج ـ بليدة نزهة في واد مشجر من نواحي هراه .

(٤) مرو الروذ ـ المرو هى الجمارة البيض والروذ هو النهر بالفارسية وهى مدينة قريبة من مرو الشاهجان وهى مدينة عظيمة وبها خلق من أهل الفضل والعلم .

(٥) نسا ـ مدينة بخراسان شديدة الحر .

(٦) بيورد ـ مدينة بخراسان بين سرخش ونسا وهى وبئة قليلة الماء (معجم البلدان ١/ ٨٦) .

(٧) طوس ـ مدينة بخراسان على بعد عشرة فراسخ من نيسابور وبها دار حميد بن قحطبة .

(٨) نيسابور ـ مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء .

(٩) سرخس ـ مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهى تقع بين نيسابور ومرو (معجم البلدان ٣/ ٢٠٨) .

(١٠) بلخ ـ احدى مدن خراسان كثيرة الخيرات واسعة الغلة .

(١١) صغانيان ـ ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ ، كثيرة الخيرات .

(١٢) طخارستان ـ ولاية كبيرة واسعة تشتمل على عدة بلاد من نواحي خراسان .

(١٣) كشى ـ قرية قريبة من جرجان على جبل وينسب إليها مجموعة من العلماء .

(١٤) نسف ـ هى مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرساتيق بين سيحون وسمرقند (معجم البلدان ٥/ ٢٨٤) .

قبيلة خزاعة وسبعة من العرب من قبائل يمنية مشهورة هى طىء وتميم وبكر بن وائل .. هذا غير أسماء بعض الدعاة الآخرين ، فقد كانت هذه القبائل العربية وغيرها انتقلت إلى خراسان وذابت فى سكان هذا الإقليم فارتبط كثير من الفرس لها بالولاء ، ولأهمية النقباء من موالى قبيلة خزاعة بالذات فقد اختير من مواليها سليمان بن كثير الخزاعى رئيساً للنقباء فى خراسان وطلحة بن زريق ، ثم اختير للدعوة رئيس آخر على رأس النقباء والدعاة هو أبو مسلم الخراسانى)[1] .

بل حازت هذه الدعوة العباسية التى قادها أبو مسلم الخراسانى ضد الأمويين أعجاب العرب وتأييدهم والوقوف من خلفها وانضموا إليها وآثروا الفرس على العرب أو قل آثروا بنى هاشم على بنى أمية ، ولكنّ الأعاجم ولاشك كانوا يمثلون الأغلبية فى ثورة أبى مسلم الخراسانى ، ومن صور تأييد العرب لدعوة أبى مسلم ماقام به قحطبة الطائى وكان من أعظم العرب نفوذاً وقوة فى قومه ، فقد اندفع فى قوة وحماس يخطب فى أهل خراسان خطاباً يرفع فيه من شأن الفرس ويعلى من قدرهم ويغض من قيمة العرب ويحقر من منزلتهم فقال : « يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم بعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت فى الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا نساءهم واسترقوا أولادهم فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدّلوا وغيروا وجاروا فى الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله(ﷺ)فسلطكم عليهم لينتقم منهم لكم لتكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثأر ، وقد عهد إلى الإمام أنكم تلقونهم فى مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزموهم وتقتلوهم »[2] .

---

(١) الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص٨٤ ، وماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٣٣ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٣٩١ .

أحس الأمويون عن قرب بنذر هذه الثورة التى تكاد أن تندلع بخراسان وأوجس الولاة التابعون لبنى أمية فى خراسان خيفة بعد أن أحسوا بتحركات أبى مسلم هنا وهناك ورأوا أن الخطر محدق بهم لا محالة ولاسيما بعد أن نزل أبو مسلم بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرمانى وخلفه الفريقان ورأى نصر قوته وكثرة من معه أسرع بالكتابة إلى مروان بن محمد يعلمه الحال ويطلعه على الوضع القائم .

فكتب إليه بأبيات من الشعر قال فيها :

أرى بين الرماد وميض جمر ... وأخشى أن يكون له ضراما
فإن النار بالعودين تزكى ... وإن الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعرى ... أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يقظت فذاك بقاء ملك ... وإن رقدت فإنى لا ألام
ففرى عن رحالك ثم قولى ... على الإسلام والعرب السلام[١]

ولم يرد عليه مروان وإنما كتب إلى معاوية بن الوليد بن عبد الملك وعامله على دمشق يأمره أن يكتب إلى عامله على البلقاء أن يسرع الخطى إلى الحميمة ويأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ويبعث به إليه .. ففعل ذلك فأخذه مروان وحبسه[٢] .

وكان السبب فى الإسراع بالقبض على إبراهيم بن محمد أن خطاباً وقد وقع بيد مروان بن محمد وهو بحمص كان قد أرسله إبراهيم إلى أبى مسلم الخراسانى يأمره فيه أن لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله ، ومما جاء فيه أيضاً :

دونك أمراً قد بدت أشراطه ... أن السبيل واضح صراطه
لم يبق إلا السيف واختراطه[٣]

أما نصر بن سيار فإنه استبطأ المدد وأعيته الحيل فى أمر الكرمانى فى كتب إلى يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى عامل مروان على العراق

(١) ابن الأثير ـ الكامل ٤/ ٥٣٧ ، والطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٣٦٩ .
(٢) ابن الأثير ـ الكامل ٤ ,٥٣٨ .
(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ٣/ ٢٥٧ ، وابن الأثير ـ الكامل ٤/ ٥٣٩ .

يستمده ويسأله العون والنصرة على عدوه القريب منه ، وضمن كتابه أبيات شعر جاء فيها :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... قد تبينت أن لا خير فى الكذب
بأن أرض خراسان رأيت بها ... بيضاً لو فرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب
ألا تدارك بخيل الله معلمه ... ألهبن نيران حرب أيما لهب[1]

فى ذلك الوقت كانت الأمور كلها تسير فى اتجاه يخدم أبا مسلم ، فقوى أمره وغلب على أكثر خراسان ، بينما كان أمر نصر يسير إلى ضعف وانحطاط بسبب عدم وصل النجدة إليه فصار حتى خرج من خراسان وأتى الرّى وهناك كتب كتاباً إلى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن الأمر الذى أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتاً من الشعر هى :

أنا وما نكتم من أمرنا ... كالثور إذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها ... عذراء بكراً وهى فى التاسع
كنا نرفيّها فقد مُزّقت ... واتسع الخرق على الراقع
كالثَّوب إذا نهج فيه البلى ... أعيا على ذى الحيلة الصانع[2]

ومن العجب أن الوقت الذى كانت تتدفق فيه الجموع من العجم والعرب للانضمام إلى أبى مسلم والالتفات حوله من أجل الفوز والنصر على بنى أمية ، كانت العصبية القبلية تمزق قوة العرب فى خراسان وتذهب بها كالريح العاصف ، حيث كانت الزعامة القبلية بين المضربين واليمانيين تتزايد يوماً بعد يوم من أجل الزعامة والغلبة ، وكان لوجود الشعراء أثر كبير فى إزكاء هذه النوعية من العصبية بين القبائل الحاكمة ، فالشاعر الكميت وهو من مضر بن نزار يكثر من تفضيل قومه ويطنب فى وصف محاسنهم ويفضلهم على قحطان فيقول :

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٥٧ .

(٢) المسعودي - مروج الذهب ٣/ ٢٥٨ .

لنـــا قمـــر السماء وكـل نجـــم تشـير إليـه أيـدى المهتدينـــا
وجـــدت الله إذ ســمى نـــزاراً وأسكنهم بمكـــة قاطنينـــا
لنـا جعـل المكـارم خالصـات وللنـاس القفـــا ولنـا الجبـين

فـيرد عليـه دعبـل الخـزاعى مفتخـراً بقـوله .

لقـد علمـت نـزار أن قـــومى إلى نصـــر النبـوة فاخـرينـا[1]

بـل إن أبـا مـسلـم سـعى فى إشـعـال وإزكـاء الفـتنـة بيـن القبـائل العـربيـة وإغـراء نـار العـداوة والـبغـضـاء بينهـم ولاسـيـما وأنـه كـان يتمتـع بالدهـاء والذكـاء[2] .

ولـما وجـد نصـر أنّ نـار الفـرقة والإنقسـام بين العـرب تنمـو وتشـتد، كـتـب إلى ربيعـة اليمنى يحذرهم هـذا العـدو الداخـل ويحثهـم على الاتفـاق والترابـط فبعث يقـول :

أبـلـغ ربيعـة فى مـــرو وإخوتهـا أن يغضبوا قبـل إلاّ ينفـع الغضـب
ما بالكـم تلقحـون الحـرب بينكـم كـأن أهـل الحجا عن فعلكم عيـب
وتتركـون عـدواً قـــد أظلكـــم ممـن تأشـب لا ديـن ولا حسـب
ليســـوا إلى عـرب منـا فنعرفهـم ولا صـميم الموالى إن همـوا نسبوا
قـومـاً يدينـون دينـاً مـا سـمـعـت بـه عن الرسـول ولا جـاءت بـه الكتـب
فمـن يكنى سـائلى عن أصـل دينهمو فـإن دينهمـو أن تقتـل العـرب[3]

ولعـلّ فى هـذا تصـوير بـارع للحـالة القـائمـة التى كـانت عليـهـا بنـو أميـة وماكانت عليـه القبـائل العربيـة من فـرقـة وانقسـام ، ولكـن ما الحيـلة وقـد سـبق السـيف العـزل فـلم تعـد تنفـع هـذه المواعـظ .

هـذا إلى جـانب وجـود عـوامل الـضـعف والإنهيـار التى كـانت منتـشـرة

---

(١) المصـدر السـابق ٣/ ٢٤٤ .

(٢) الطيـب النجـار ـ المـوالي في العصر الأمـوي ، عبد المنعـم ماجـد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٣٣

(٣) ابن الأثـير ـ الكـامل ٤/ ٥٣٩ .

بصورة واضحة فى دولة بنى أمية والثورات العنيفة التى قام بها الخوارج ضد الأمويين ، كل هذا أقضى مضجع الدولة الإسلامية وأوهن كيانها وبنيانها فسقطت صريعة على الأرض أمام جيوش العباسيين .

وبسقوط الدولة الأموية تحقق للموالى بعض أمانيهم التى طالما انتظروها فى ظل بنى أمية دون جدوى ، والحق أن الخلفاء العباسيين منذ أن قامت دولتهم لم يبخسوا الموالى حقهم فى تولى المراتب السامية والمنازل العالية والوظائف المهمة فى الدولة العباسية .. بل اعترفوا بجهودهم التى بذلوها فى سبيل قيام دولتهم ، فالخليفة أبو جعفر المنصور يخطب فى أهل خراسان فيقول « يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا »(١) .

ويقول السيوطى (أن المنصور أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها)(٢) .

وهو اعتراف منه بفضل الموالى فى قيام الدولة العباسية ، بل أنه ظل على وفائه لهم حتى أنه أوصى ولده المهدى قبل وفاته بهم فقال : (وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مأذنك لشدة إن نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم فى دولتك ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ماكان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده)(٣) .

ويروى عن المنصور أيضاً أنه أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرَّفهم فى مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده سنَّة فشقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها(٤) .

والحق أن العباسيين قد أفسحوا المجال أمام الموالى وفتحوا أمامهم الأبواب فى تولى الوظائف الرسمية فى الدولة فكان منهم الوزراء والولاة والكتاب

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب ٣/ ٢٩٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠ .

(٣) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١٠٣ .

(٤) المسعودي ـ مروج الذهب ٣/ ٣١٨ .

والشعراء والبلغاء والخطباء ورؤساء الدواوين .

ويرى بعض الباحثين أن ذلك راجع إلى أن العجم أخذوا المبادرة منذ نشأة الدولة العباسية فاحتلوا أهم مناصبها وأصبح لهم نفوذ مؤثر فى سياسة العباسيين على أساس أنهم سبب قيام دولتهم(١) .

وازداد نفوذ الموالى ولاسيما من أهل خراسان فى عصر الرشيد ، وهذا راجع إلى دور البرامكة كانوا القائمين على شئون الدولة فاستتبع نفوذهم نفوذ جنسهم من الفرس .

ويؤكد هذه الحقيقة ابن خلدون بقوله : أن بنى أمية كانوا يستطهرون فى حروبهم وولاية أعمالهم برجال العرب ، ثم يقول بعد كلام طويل (وكذا صدر من دولة بنى العباس كان الاستظهار فيها أيضاً برجالات العرب فلما صارت الدولة للإنفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والضائع من البرامكة وبنى سهل بن نويخت وبنى طاهر ثم بنى بويه وموالى الترك)(٢) .

وزاد من نفوذ موالى خراسان خلال تلك الفترة أن أصحاب السلطة منهم والقريبين من بلاط الخلفاء العباسيين كالفضل بن يحيى البرمكى .. كانوا يقومون بتقريب الموالى من المناطق الحيوية فى الدولة ليصبح لهم شأن ومكانة ومن ذلك ما يرويه الطبرى (أن الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسة وجعل ولاءهم لهم وأن عدتهم خمسمائة ألف رجل وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل فسموا (الكرنبية) وخلف الباقى منهم بخراسان على أسماءهم ودفاترهم ، وفى ذلك يقول الشاعر :

كتائب لبنى العباس قد عرفت ... ما ألف الفضل منها العجم والعرب

اثبت خمس مئين فى عدادهم ... من الألوف التى أحصت لك الكتب

يقارعون عن القوم الذين هم ... أولى بأحمد فى الفرقان إن نسبوا(٣)

لقد تبدلت الأحوال وتغيرت الأمور لصالح الموالى فى ظل العباسيين

(١) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٥٤ .

(٢) المقدمة ص١٢٩ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٢٥٧ .

وتغير وضعهم الاجتماعى فرجحت كفتهم وارتفعت منزلتهم بعد أن تمكنوا من الوصول إلى أرقى المناصب فى الدولة وهى الوزارة[١] .

فتولاها فى عصر السفاح أبو سلمة الخلال مولى بنى الحارث بن كعب ، وفى عهد المنصور توالى الوزراء من الموالى أبو أيوب سليمان المورياني ثم أبو الفضل الربيع بن يونس ثم تولاها خالد بن برمك جد البرامكة وبلغ شأناً عظيماً عند الخليفة حتى أن أصحاب الحاجات كانوا يقصدونه أملاً فى قضائها على يديه[٢] .

وفى عهد المأمون زاد نفوذهم وارتفع ذكرهم بسبب الفتنة التى قامت بين الأمين والمأمون مما أدى إلى تجدد الصراع بين العرب والعجم فى صورة أكثر حيوية وأشد عنفاً ، فإن أغلب الفرس تعصب للمأمون لأنه من نسل فارسى وكان يسيطر على الأقاليم الفارسية وما فتىء يعلن ميله للعجم ، ولهذا سلم أمره إلى الفضل بن سهل الذى ينحدر من أسرة إيرانية ، بينما تعصب العرب للأمين لأن أمه وأباه عربيان .

واشتعلت الفتنة بين المأمون وأخيه الأمين أو قل بين العرب والعجم من أهل خراسان ورفض المأمون أن يسوى بينهم فى المعاملة والعطاء ، ولما طالبه أحد أبناء الشام بالمساواة والعدل بين الرعية قال له (أكثرت علىَّ والله ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلا وأنا أرى أنه لم يبق فى بيت مالى درهم واحد)[٣] .

فلما كان عصر المعتصم أحل الترك كل الفرس وأخذت شمس الموالى الفرس تهيل إلى الغروب بسبب تنكيل الترك بهم .

وبالرغم مما ناله الموالى من المناصب العالية والمنازل السامية فإنهم لم يقنعوا بها بل كانوا يطمعون ويطمحون إلى أبعد من ذلك من تحويل الدولة إلى ملك كسروى ، وتشبعت نفوسهم بعد أن تحققت لهم بعض الأمانى بطابع التشفى والانتقام من العرب نتيجة الرواسب التى كانت تحملها ضمائرهم الخبيثة للعرب والمسلمين ، بل أنهم حاولوا إثبات قوتهم بسلب السلطة من

---

(١) الطيب النجار ـ الموالي في العصر الأموي ص١٣٣ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١١٤ ، المسعودى ـ مروج الذهب ٣/ ٢٨٤ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١٢٨ .

أيدى الخلفاء عن طريق إلقاء الفتن والدسائس بين العرب المسلمين ، ولكن يقظة الخلفاء العباسيين أحبطت كل هذه الدسائس وأحسوا باستبداد الموالى من حولهم فنكلوا بهم فكان تنكيل الخلفاء بالوزراء والولاة يقع من حين لآخر قبل أن يفلت الزمام من أيديهم .

يقول ابن خلدون : وإنما نكب البرامكة ماكان من استبدادهم على الدولة واحتجاجهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه فى سلطانه ولم يكن لهم معهم تصرف فى أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وضائعهم واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وحجابة وسيف وقلم(١) .

ثانياً ـ استبداد أبى مسلم الخراسانى ونهايته :

ولعل أوضح صورة لاستبداد الموالى العجم ومحاولتهم الاستقلال بما تحت أيديهم ماكان من أمر أبى مسلم الخراسانى الذى صار والياً على خراسان ، فقد عظم أمره وذيع صيته وقد لجأ إلى التخلص من الكبار الذين ساهموا بنصيب وافر فى قيام الدولة العباسية لكى تظل له السيطرة وحده ، فقتل سليمان بن كثير الخزاعى أول النقباء الاثنى عشر ، كما تكفل بقتل أبى سلمة الخلال أول الوزراء الرسميين وكان له يد فى قتل ابن هبيرة أحد كبار العرب ، حتى أحصى من قتلهم أبو مسلم فبلغوا ستمائة ألف(٢) .

وازداد نفوذ أبو مسلم حتى أصبح له من القوة والنفوذ ما أزعج الخليفة أبو جعفر المنصور بالإضافة إلى عدم إجلاله للمنصور والاستهانة بأمره والحط من هيبته(٣) .

فيذكر المسعودى (أن المنصورر قال يوماً لسالم بن قتيبة : ما ترى فى أمر أبى مسلم ؟ قال «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» فقال حسبك لقد أودعتها

---

(١) المقدمة ص١١ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٤٨٥ ، وعبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٦٠ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل ٤/ ٦٣٢ .

أذناً واعية[١] ، أو قال إمسك لقد فهمت ما أردت[٢] .

ويروى فى تعاظم أبى مسلم وتكبره حتى على الخليفة أن الخليفة أبا العباس السفاح وجه أخاه أبا جعفر المنصور إلى خراسان وأمره أن يأتى أبا مسلم فيناظره فى بعض الأمور ووجه معه ثلاثين رجلاً من وجوه القواد وفيهم الحجاج بن ارطاه الفقيه ، فلما قدم المنصور على أبى مسلم لم يبالغ أبو مسلم فى بره وإكرامه ولم يظهر السرور والبهجة بقدومه ، فانصرف إلى أبى العباس وقال : لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً فاحتال لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك ، فقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن غدره ونكثه . فقال أبو العباس : وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد أشرب قلوبهم حبه واتباع أمره وإيثار طاعته ؟ فقال أبو جعفر : فذاك والله أحرى الا تأمنه فاحتال له ، فقال أبو العباس : يا أخى أضرب على هذا ولا تعلمن رأيك فى ذلك أحداً[٣] .

كان الخليفة المنصور يكره أبو مسلم لصلفه وتكبره حتى أنه أشار على أخيه السفاح بقتله فامتنع السفاح وقال : كيف يكون ذلك مع حسن بلائه فى دولتنا[٤] .

وفى خلافة المنصور ساءت العلاقة بينه وبين أبى مسلم بسبب أن أبا مسلم لم يهنئه بالخلافة ولم يحضر لمبايعة المنصور وأحس المنصور منه بالغدر منذ أن استقل بولاية خراسان الأمر الذى جعل الخليفة يفكر فى التخلص منه فعزم على قتله[٥] .

ولسنا بصدد سرد الأحداث ولا حصر الأسباب التى أدت إلى قتل أبى مسلم الخراسانى فليس هذا مجال بحثنا وكل ما يهمنا هو التأكيد على قوة ونفوذ الموالى واستبدادهم بالرأى حتى من دون الخليفة مما دفع الخلفاء إلى

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٣٠١ .

(٢) ويذكر أبو حنيفة الدينوري أن المتحدث إليه هو الحجاج بن أرطاة وليس سالم .

(٣) أبو حنيفة الدينوري ـ الأخبار الطوال ص٥٣٦ .

(٤) ابن طباطبا ـ الفخري في الآداب السلطانية ص١٦٨ .

(٥) انظر الطبري ٧/ ٤٨٧ .

التنكيل بهم والتخلص منهم ، كما فعل المنصور مع أبى مسلم والرشيد مع البرامكة .

ويذكر المؤرخون الحوار الأخير الذى دار بين المنصور وأبى مسلم قبل أن يقتل فبعد أن جرد أبو مسلم من سيفه وسلاحه وجلس على وسادة دخل المنصور عليه فجعل يحادثه ساعة ثم شرع فى توبيخه وتقريعه على أفعاله وسقطاته وأبو مسلم يعتذر فى كل مرة ، ثم قال أبو مسلم : ليس يقال هذا لى بعد بلائى وماكان منى . فقال له يا ابن الخبيثة إنك لمستعظم غير العظيم ، وإنما فعلت ذلك بنا وبدولتنا ، ولو كان مكانك أمة سوداء لأجزت ، ألست الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى تخطب آسية[١] بنت علىّ وتزعم أنك من نسل سليط بن عبد الله بن عباس ، ألست الفاعل كذا وكذا ، لقد ارتقيت مرتقاً صعباً ، ثم أمر به فقتل[٢] .

وبعد أن سقط أبو مسلم صريعاً على الأرض والدماء تقطر من كل أعضاءه نظر إليه المنصور وقال :

زعمت أن الدين لا ينقضى ... فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكأس كنت تسقى بها ... أمر فى الحلق من العلقم[٣]

وكفن أبو مسلم فى مسح أعدت لذلك ونثر أبو جعفر الدراهم والدنانير على أصحاب أبى مسلم فأمسكوا عن الكلام رغبة ورهبة[٤] .

وأراد المنصور أن يهدىء من روع الناس فقام فيهم خطيباً ، فقال : أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تمشوا فى ظلمة الباطل بعد سعيكم فى ضياء الحق ، إن أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه وأنه أخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته مالم علمته اللائم لنا فيه لعذرنا فى قتله ، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ولم يمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه .

---

(١) اختلفت المصادر في تسميتها ، فعند اليعقوبي آمنة وعند المسعودي آسية .

(٢) اليعقوبي ـ ٢/ ٢٥٧ ، المسعودي ـ مروج الذهب ٣/ ٣٠٤ ، وابن طباطبا ـ الفخري ص ١٧٠ .

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ٣/ ٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق ٣/ ٣٠٥ .

ثالثاً ـ الآثار الجانبية لمقتل أبى مسلم :

لاشك أن قتل أبى مسلم الخراسانى قد أثار غضب الفرس على الخليفة المنصور نظراً لمكانة أبى مسلم عندهم ، فحاول المنصور أن يحد من هذا الغضب حتى لا يتفاقم شرره فأغدق على أصحابه وأعطاهم ألف صرة فى كل واحدة ثلاثة ألاف درهم وكتب كتاباً قرىء عليهم : (يا أهل خراسان إنما كان أبو مسلم عبداً من عبيد أمير المؤمنين وجَدَّ عليه فقتله فليذهب ردعكم فإن أمير المؤمنين بالغ آمالكم[١] .

ولكن ما إن تسربت الأخبار ووصلت إلى خراسان وغيرها وعلموا بمقتل أبى مسلم حتى ظهر مغامرين وطامحين قادوا باسم الثأر لأبى مسلم حركات هدامة استهدفت الخروج على الخلافة العباسية والعودة إلى الفارسية القديمة .

كما اتسمت هذه الحركات بتعاليمها الدينية المأخوذة من المذاهب الفارسية القديمة وبخاصة أن بعض الفرس فى مواطنهم الأصلية كانوا لا يزالون مقيمين على دينهم القديم ، وقد استمرت هذه الحركات مشتعلة طوال العصر العباسى الأول[٢] .

ويشير المسعودى إلى أثر قتل أبى مسلم فى ظهور هذه الحركات بقوله : (ولما نمى قتل أبى مسلم إلى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية[٣] وهى الطائفة التى تدعى بالمسلمية القائلون بأبى مسلم وإمامته ، وقد تنازعوا فى ذلك بعد وفاته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ الأرض عدلاً . وفرقة قطعت بموته وقالت بإمامة ابنته فاطمة وهؤلاء يُدعَون [الفاطمية] وأكثر الخرمية فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكردكية واللودشاهية وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ومنهم بابك الخرمى الذى خرج على المأمون والمعتصم بالبدين من أرض الران وأذربيجان ، وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والرى وأصبهان[٤] وغيرها)[٥] .

---

(١) الدينوري ـ الأخبار الطوال ص٥٥٤ .

(٢) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٦٨ .

(٣) هى احدى الحركات الهدامة التي قام بها بابك الخرمي وسيأتي تفصيل ذكرها في باب الحركات الهدامة .

(٤) أصبهان : مدينة عظيمة من أعيان المدن ومعناها بلاد الفرسان .

(٥) مروج الذهب ٣/ ٣٠٥ .

ولعل مقتل أبى مسلم قد صادف رغبة كامنة عند الفرس فى الخروج على الخلافة الإسلامية والعودة إلى دياناتهم القديمة حيث ظل بعض الموالى مخلصين فى قرارة أنفسهم لمعتقدات بالية وقبلوا الإسلام ظاهرياً حيث رأوا فى هذه المعتقدات المجوسية الأمل فى بعث دينهم وفى ظهور المنقذ الذى بشر به زرادشت حتى عدّ بعضهم أبا مسلم ذلك المنقذ .

وقد صرح الإمام ابن حزم بأن سبب خروج هذه الطوائف على الإسلام تمسكهم بالمجد الفارسى القديم فيقول : (والأصل فى خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ورامو كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، ففى كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق وكان من قائمتهم سنفاده واستاسيس والمقنع وبابك وغيرهم)[١] .

والحق أن من يدقق النظر ويتدبر الأسباب والدواعى التى دعت هؤلاء الخارجين إلى الخروج بهذه الحركات يدرك الهدف من خروجها من أول وهلة وهو كراهية الفرس للعرب ومحاربة الإسلام بكل الوسائل والطرق التى تؤدى إلى هدم أركانه وتشويه بنيانه .

بل أن هذه الحركات الهدامة التى سوف نتناولها بالبحث والدرس قد تبعتها ظهور نزعات إنفصالية فى بعض الأقاليم يمكن أن نطلق عليها حركات قومية ترمى إلى إعادة الدولة الفارسية القديمة ، فالصفاريون والسامانيون والزيديون فى طبرستان قد أحيوا العادات والتقاليد الفارسية فيما بينهم[٢] .

وسوف يظهر لنا وبجلاء الآثار الجانبية لهذه الحركات ومدى تأثرها بالمجوسية القديمة وذلك من خلال دراستنا لها .

---

(١) الفصل في الملك والأهواء والنحل ٢/ ٩١ .

(٢) ابن مسكويه ـ تجارب الأمم ص٧١ .